



تزايد التوترات بين تركيا و"هيئة تحرير الشام" (جبهة النصرة سابقاً) في الفترة الأخيرة، حسب ما تكشف مصادر أمنية وسياسية تركية لـ"العربي الجديد"، معللة ذلك بعمد "الهيئة" عرقلة تنفيذ اتفاقات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ونظيره الروسي فلاديمير بوتين في الخامس من مارس/آذار الماضي في موسكو، حول محافظة إدلب السورية وـ"منطقة خفض التصعيد" عموماً.

وتشير مصادر أمنية متابعة لـ"العربي الجديد" إلى أن "الهيئة" لا تزال تعترض على تفاصيل التفاهمات التركية الروسية، وهو ما كان سبباً في توترات متكررة مع أنقرة، من دون أن تستبعد المصادر تفاقم التباينات وتطورها إلى سيناريوهات مختلفة. في السياق، تؤكد مصادر في وزارة الخارجية التركية لـ"العربي الجديد" صحة الانزعاج التركي من "الهيئة"، لكنها تستبعد في الوقت عينه القيام بأي تحرك عسكري ضدها في الوقت الحالي، إلا في حال أرادت "الهيئة" التصعيد، وذلك في موازاة تواصل الحشد الإعلامي التركي ضدها في إدلب.

وتبرّر المصادر سبب استبعاد العمل العسكري حالياً بالانشغال بمكافحة فيروس كورونا وتداعياته في أي عمل عسكري من جهة، فضلاً عن أن التحرك العسكري التركي لا بد أن يأتي بتنسيق مع روسيا من جهة ثانية، وهو ما لم يتم حتى الآن، لأن تركيا تعتقد أن ملفات شرق الفرات لم تنته بعد مع الجانب الروسي. وبدلًا من حل المشاكل العالقة في المنطقة، ظهرت معضلة جديدة تتمثل بدعم الروس مساعي الولايات المتحدة وفرنسا لتوحيد وحدات حماية الشعب الكردية، التي تعتبرها تركيا امتداداً لحزب العمال الكردستاني، مع تنامي دور المجلس الوطني الكردي الذي تعرف به تركيا ممثلاً شرعياً لأكراد سوريا. وبالتالي تفرض هذه التطورات تنسيقاً تركياً - روسيًّا في إطار ترتيب أولويات شرق الفرات.

و حول أسباب الحاجة للتنسيق مع روسيا في أي تحرك ضد "هيئة تحرير الشام"، تفيد المصادر بأن المباحثات المقبلة الشاملة مع روسيا ستتمحور حول مطلب أنقرة تحول وقف إطلاق النار المؤقت إلى وقف إطلاق نار شامل و دائم، مع الأخذ بعين الاعتبار جميع التفاصيل المتعلقة بالاتفاقية، أي تفاصيل العمل العسكري ضد "الهيئة"، في ترجمة لأولوية الطرفين التركي والروسي في التركيز على التنظيمات الراديكالية القريبة من "الهيئة"، وهي تنظيمات مثل حراس الدين، والمقاتلين التركستانيين.

مع العلم أنه حصلت مواجهة محدودة بين الجيش التركي ومعتصمين يتبعون لـ"الهيئة" في أواخر شهر إبريل/نيسان الماضي، على الطريق الدولي حلب - اللاذقية "أم 4"، ما أدى لمقتل خمسة معتصمين، كشفت مصادر ميدانية على الأرض، حينها، أنهم أساساً من عناصر "الهيئة"، فيما أصيب عدد من الجنود الأتراك خلال الاشتباك. ورد عناصر "هيئة تحرير الشام" على مقتل عناصرهم باستهداف نقطة تركية قرب بلدة النيرب بقذائف الهاون، ثم شنت طائرة مسيرة تركية هجوماً استهدف مربض الهاون، ما أسفر عن تدميره ومقتل وجراح عدد من عناصر "الهيئة". بعدها استهدفت "الهيئة" جرافة تركية بصاروخ مضاد للدروع وردت عليهم طائرة مسيرة تركية، لتنتهي الأمور عند هذا الحد مع استمرار التوتر الحذر.

وبالتزامن مع المواجهات الميدانية في الفترة نفسها، كشفت مصادر تركية في وزارة الخارجية لـ"العربي الجديد"، عن عقد اجتماع بين الجانب التركي وممثلين عن "الهيئة" بوساطة أطراف مقرية من أنقرة لبحث التطورات الخطيرة ميدانياً، موضحة أن "الجانب التركي كان مصرأً على طلبه فتح الطريق الدولي (أم 4) من أجل تسيير الدوريات الروسية المشتركة. وبهدف ممارسة المزيد من الضغوط، نفذت طائرات تركية مسيرة قصفاً على مركبة تعود للهيئة، ما أدى إلى مقتل عناصر من الهيئة في رسالة واضحة على الجدية التركية". وأضافت أن "الهيئة هي الجانب الأضعف وعليها الاستجابة للمطلب التركي". وشددت المصادر على أن "أنقرة تسيطر بشكل كبير على سماء المنطقة، وتعرف تحركات وأهداف التنظيمات الراديكالية، وهناك جهود على مستوى استخباري سري تجري من أجل تغيير بنية هيئة تحرير الشام، أو دمجها بالفصائل".

وبعد الخلافات عملياً، بين "هيئة تحرير الشام" وأنقرة، بعد إبرام الاتفاق التركي - الروسي الذي أوقف العمليات العسكرية، ونصّ على تسيير دوريات روسية - تركية مشتركة على الطريق الدولي "أم 4"، إلا أن "الهيئة" دعت محتاجين، معظمهم من عناصرها، لقطع الطريق على الدوريات المشتركة والسماح فقط للدوريات التركية بالعبور عند بلدة النيرب، لحوالي شهر، قبل أن تزيل خيام الاعتصام بعد المواجهة الأخيرة، وتصل الدوريات المشتركة إلى أريحا للمرة الأولى.

وعن ذلك، يرى الصحافي التركي طه عودة أوغلو، أن الخلافات بين تركيا وـ"هيئة تحرير الشام" برزت بعد الاتفاقيات والتفاهمات بين أنقرة وموسكو في شمال سوريا واعتراض "الهيئة" عليها، وأن هذه الخلافات بدأت تتسبب بتوترات متكررة بين الجانبين، وهو ما يشير إلى أن العلاقة بين أنقرة وـ"الهيئة" وصلت إلى حد المواجهة الكبرى مع إصرار أنقرة على تطبيق اتفاق موسكو. ويضيف في حديث لـ"العربي الجديد": "يرأي إن الخيارات محدودة أمام تركيا للتعامل مع معضلة هيئة تحرير الشام، فإما تسعى إلى تحبيدها وفصلها عن فصائل المعارضة المعتدلة، أو الضغط عليها لحل نفسها والاندماج ضمن جيش موحد بطرق عدّة، ولو بعملية عسكرية لا ترغب أنقرة أصلاً بخوضها".

ويشير عودة أوغلو إلى أن "تركيا راهنت على هيئة تحرير الشام في السنوات الماضية باعتبارها القوة العسكرية الأكثر صلابة في الشمال الغربي السوري، وسعت على مدار السنوات الماضية إلى الحفاظ عليها في مقابل قوات سورية الديمقراطية في شرق الفرات. لكن أنقرة تجد نفسها اليوم مضطورة لاتخاذ خطوة حل الهيئة وتقليل نشاطها، وإنها

ستجد نفسها في مواجهة جديدة مع الروس". ويشير إلى أن "الهيئة تواجه في إدلب ضغوطاً غير مسبوقة من قبل تركيا، تهدد وجودها، وأعتقد أن الضغوط التركية ستتواصل خلال الفترة المقبلة وصولاً إلى تطبيق سيناريو إضعافها، وهذا الأمر مسألة وقت لا أكثر، وهناك أيضاً بوادر عن إمكانية خسارة الهيئة هيمتها في إدلب لصالح الجيش التركي والفصائل المعارضة التي يدعمها".

المصادر:

العربي الجديد